على جاهلية القرن العشرين كما ثار آباؤكم على جاهلية القرن السادس المسيحى، وأن تتمردوا على المادية العصرية كما تمرد أسلافكم على مادية عصرهم، وتضحوا برفاهتكم وترفكم وأمانيكم المعسولة فى سبيل الاسلام وفى سبيل المصلحة العامة والسعادة البشرية وتنضموا إلى الراية المحمدية، وهى راية العدل وراية الحق وراية الله فى العالم التى اختارها الله لكم كراية واختاركم لها كامة وجند إلى آخر الدهر «وجاهدوا فى الله حق جهاده، هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج، ملة أبيكم ابراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل، وفى هذا، ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله، هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير».

محبكم

أبو الحسن على الحسنى الندوى

طبعها جلال شرف الدين فى مطبعة «ق» ٢٩ شارع محمد على - بمبائى ٣ بالهند
ونشرها أبو الحسن على، ٣٧ گوئن روڈ - لكهنو

الى الرايـة المحمدية

أيهـا العرب!

أبو الحسن على الندوى

١٣٧٤هـ — ١٩٥٥ع

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الراية المحمدية، أيها العرب! .

[كلمة وجهها الكاتب إلى الأعيان والسادة أعضاء الجالية العربية الذين اشتركوا في حفلة تكريمه التي أقامها له أحد اصدقائه العرب في احدى العواصم الهندية الكبرى. وهي الآن مهداة إلى العرب جميعاً] .

إني أومن — أيها الاخوة الكرام — أن محمداً صلى الله عليه وسلم منذ بعث هو نبي كل جيل وإمام كل عصر. وأن دينه الذي جاء به سفينة نوح في كل طوفان، وأن لا عاصم من أمر الله إلا من رحم والتجأ إلى هـذه السفينة. ولا أقول ذلك عن تقليد وعصبية، إنما اقول ذلك — علم الله — بعد دراسة واسعة وبينة من الأمر واقتناع علمي، وإنما تتشرف الأمم والجماعات والأفراد والأشخاص ويكتب لها البقاء والخلود، والعزة والنصر باتباع هذا النبي الكريم والاعتزاز بدينه والتمسك بأهدابه وحمل رسالته وأمانته، ومن استغنى عنه أو رأى الشرف في غير أتباعه، أو ثار على إمامته العامة الخالدة التي فرضها الله على اجيال الانسانية كلها وعلى ادوار التاريخ كلها، وقطع صلته عن دوحته العظيمة، وشغل بنفسه وشهواته ومصالحه الشخصية عن حمل رسالته وأداء أمانته محي من الوجود، وأخمل ذكره وأصبح مطموسا منكوسا، وكان كورقة انفصلت

عن شجرة خضراء فتذوي سريعا وتصبح هشيما تذروه الرياح، عربيا كان أو تركيا، هاشميا كان أو تميميا، هذا قضاء الله وحكمه ولا راد لقضائه، والتاريخ يصدق ذلك، وتجارب الأمم توثقه، وقد صدق الشاعر الفارسي حيث قال « محمد صلى الله عليه وسلم هو شرف العالم وكرامة الأفراد والأمم، فمن أبى أن يستمسك بعرزه ويمشي في موكبه، أرغم أنفه وكتب له الذل والصغار ». وقد صدق الشاعر الهندي[١] حيث قال « لا عجب إذا انقادت لي النجوم وخضعت لي الأفلاك والكواكب، فقد ربطت نفسي بركاب سيد عظيم لا يأفل نجمه ولا يعثر جده، ذلك هو البصير بالسبل خاتم الرسل، إمام الكل محمد صلى الله عليه وسلم الذي وطأت قدمه الحصباء فاصبحت إثمدا يكتحل به السعداء ».

إن هـذا الانفصال — أيها الاخوة الكرام — عن الدوحة النبوية المباركة، وإن هذا الانقطاع عن الموكب المحمدي المقبل، وعن ركبه الميمون، خسارة لا تعوض بشيء، إنها لا تعوض بأعظم ثروة، ولا باوسع دولة، ولا بأروع مظهر، إنها لا تعوض بلباقة أو كياسة أو سياسة، أو حذاقة للغات أو براعة في تقليد الأزياء.

١ — هو العلامة الدكتور محمد اقبال .

لأنه تخلف عن ركب الحياة وانقطاع عن معين المعنويات، ولا عوض عن الحياة والمعنويات والروح فى المظاهر والأزياء، واللغات والثقافات، والتقليد والمحاكاة، وقد كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يؤمنون بأن الاسلام هو مصدر عزهم، ومطلع فجرهم، وفاتحة عهدهم الجديد، وسر قولهم وانتصارهم، ويصرحون بذلك أمام الناس. يدل على ذلك دلالة واضحة ما رواه ابن كثير فى تاريخه. قال لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقيه فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره فقال له أبو عبيدة: قد صنعت اليوم صنيعاً عظيما عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا! قال فصك فى صدره وقال: اوّ لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة! إنكم كنتم أذل الناس، وأحقر الناس، وأقل الناس، فأعزكم الله بالاسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله»[1]. وهذا هو الواقع التاريخى. فكلما حاول العرب إن ينالوا الشرف بغير هذا الدين أخفقوا وذلوا. وقد كان اسمهم يرجف القلوب ويملاها مهابة وروعة، وقد خرجوا من جزيرتهم فى ثياب صفيقة مرقعة ونعال وضيعة مخصوفة، وذلك لسر خالد، وهو أن الانسان مفطور على إجلال الفائق والغرام بالمفقود، وقد

١ — البداية والنهاية، ج ٧، ص ٦٠.

كان العرب يملكون الايمان واليقين والأخلاق التى كانت الأمم أفلست فيها إفلاسا شائنا، ثم إن الذى فطر المادة والروح قد فرض على المادة أن تخضع للروح، وفى التاريخ الانسانى. ليس التاريخ الاسلامى فقط، شهادات متصلة متسلسلة لانتصار الروح على المادة والمعنويات على الماديات، وقد كان انتصار العرب على الروم والفرس الذين كانوا يفوقونهم ألف مرة فى العدة والعتاد، والمادة والآلات، والمدنية والحضارة، أروع شهادة لغلبة الروح على المادة.

كيف يجمل بالعرب والمسلمين، أن يقلدوا هذه الحضارة الغربيه، وقد علم الذين درسوا تاريخ هذه الحضارة أنها تأسست على الظلم والعدوان والأخذ بالقشور، والاكتفاء بالحس وإنكار ما وراء ذلك وعبادة المادة والشهوات من أول يوم. وهى خليفة الحضارة اليونانية الضالة أو المدنية الرومية الآثمة، ثم إن الذين يتزعمونها اليوم هم أكبر جناة التاريخ ومجرمى الانسانية، وأقوى عامل من عوامل الفساد والشقاء والظلم والطغيان فى العالم. هم الذين ملاوا الأرض جوراً وظلما وفساداً وشهوة، وأقاموا فى العالم مجزرتين من أهول مجازر التاريخ — أعنى الحرب العالمية الأولى والثانية — ويستعدون لمجزرة ثالثة لعلها تكون المجزرة الأخيرة التى فيها فناء العالم وحتف

www.abulhasanalinadwi.org

الانسانية كلها. فانهم سيستعملون فيها القنابل الذرية لا محالة، وهم الذين استعبدوا الامم وسخروها لشهواتهم ومآربهم وأهانوا الشرق الاسلامي وحرموه الحرية والحياة، ولا يزالون يعبثون به. ويسخرون رجاله وقادته لأغراضهم ويضربون بعضهم ببعض. فكان اللائق المنتظر من المسلمين والعرب أن يشتد بغضهم وعداؤهم لهذه الحضارة وأصحابها، ولا يرى منهم ميل أو تشيع أو تقليد لهذه الأمم المجرمة الظالمة وحضارتهم الأثيمة وقد قال الله تعالى «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون».

ولا أقصد بقولي «الحضارة الغربية» علوم الطبيعة البريئة، والعلوم والآداب التي ليس عليها طابع أمة، إنما أقصد بذلك فلسفة الحياة التي يدين بها الغرب — سواء المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي — وهي الايمان بالمادة والقوة فقط. وإنكار القيم العالية والحقائق الغيبية. هذه الفلسفة المادية التي ولدت هذه الحضارة المادية وظهرت هذه الحضارة المادية في النهامة بالمال والحرص على تملك أعظم مقدار منه للتمتع باللذات، وانتهاب المسرات واحراز الجاه والسمعة والمنزلة عند الناس، والتغافل عن كل ما عدا ذلك، وما جاءت به الأديان السماوية من العقائد والأخلاق. هذه الفلسفة

التي تعارض الفكرة الايمانية على خط مستقيم، التي تقول «وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب. وان الدار الآخرة لهي الحيوان، لو كانوا يعلمون». وتعارض قول النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة». هذه الفلسفة التي لا تؤمن بقوله تعالى «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» ولا بقوله «قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى» بل تهتف في غير حياء وخجل «إن أكرم الناس أغنى الناس» و «قد أفلح من اغتنى واقتنى، وألبس وأثرى وأكل الشهي اللذيذ، ولبس الفاخر الجديد، وملك عدداً من السيارات والقصور».

إن تقليد هذه الحضارة لم يكن لائقاً بالمسلمين والعرب، يوم كانت هذه الحضارة في أوجها ورهوها. وكانت تنتج وتثمر. وكانت شابة فتية. أما وقد شاخت ووهنت وبدأت تتقدم بخطى سريعة إلى الافلاس والاخفاق، بل إلى الانهيار والانتحار، فتقليدها أقبح وأخزى. ويعلم الذين يتصلون بمراكزها وتياراتها الجديدة، أنها قد أصبحت فاكهة قد أينعت وحان قطافها، وأنها إذا لم تقتطفها يد قوية فانها ستسقط بنفسها على الأرض وتتناثر. فالذين يربطون حظوظهم ونفوسهم بهذه السفينة المتكسرة التي قد أشرفت على الغرق

www.abulhasanalinadwi.org

يسيئون إلى أنفسهم وإلى أمتهم قبـل أن يسيئوا إلى عقيدتهم وملتهم.

إن المسلمين فى الهند وغيرها من الأقطار الاسلامية غير العربية، كانوا يتوقعون من العرب أن يكونوا أشد اعتزازاً بهذا الدين وأشد عــداء للامم الاوربية التى انتزعت منهم السيادة العالمية والقيادة الفكرية والسياسية وأحرص على الدعوة الاسلامية، وأعظم تألما لما هو واقع فى العالم من المآسى والمهازل، ولما وصلت إليه الانسانية من الهبوط والتدلى، كانوا يتوقعون أن يكون العرب أرسخ عقيدة وأشد حماسة فى كل ذلك من المسلمين الذين آمنو بدعوتهم، وكانوا أتباعهم فى هذا الدين، لأن العرب أسرة النبى صلى الله عليه وسلم وقبيلته، ولأن القرآن — الذى ارتعشت له الجبال وزلزلت به الأرض — إنما نزل بلغتهم ولا يزالون يفهمونه ويحسنون قراءته، ولا يحزن الانسان مثل ما يحزنه إذا رأى تقليداً من إمام وضعفا من قوى، واستجداءاً من غنى.

إن فى الهند وباكستان — أيها السادة — رجالا لم تزدهم دراسة العلوم العصرية والاطلاع على النظم الغربية، والاتصال بمراكز الحضارة الاوربية، والاجتماع برجالات الغرب وقادة الفكر والسياسة

فيه، لم يزدهم كل ذلك إلا اعتزازاً بالاسلام والتضلع من حب محمد بن عبد الله عليه الصلوة والسلام، والايمان بأن الاسلام هو الرسالة الأخيرة، وإن تعاليمه موافقة لكل مكان وأوان، بل هي سابقـــة للزمان. وان الانسانية فى كل طور من أطوار حياتها تجد فيها الغوث والنجدة، ولم يزدهم كل ذلك الا يأساً من الحضارة الغربية التى لا تستطيع إن تحمل نفسها وتنجد رجالها [illegible] على قادة الغرب الذين قد ظهر إخفاقهم فى حل المعضلات الانسانية، وتجلى إفلاسهم فى المؤهلات والوسائل التى يحاولون بها حل المعضلات وأعظمها الاخلاص والايمان، ويقودون العالم إلى [illegible] ولكنهم لكبرهم لا يعترفون بهذا الافلاس ولا يبحثون عن مصدر جديد يحاولون به هذه الأزمة التى حلت بالانسانية [illegible] وينجدون به الانسانية التى تملكوا زمامها واحتكروا [illegible] كل ذلك لم يزدهم إلا ثقة بهذا الدين وتصلبا فى عقيدته وشريعته ومحافظة على آدابه وحضارته، ولو شئت لعددت عشرات من هؤلاء الأساتذة المؤمنين والعلماء الراسخين ممن يجمعون بين الثقافة العصرية الواسعة والعقيدة الاسلامية الراسخة، وكان بعضهم من أفذاذ هذا العصر فى بعض العلوم العربية والفلسفة والسياسة

www.abulhasanalinadwi.org

والاقتصاد والأدب.

ولكن ذلك لا يزيد فى شرف النبى الأمى صلى الله عليه وسلم بل يشرف هؤلاء الذين ينتمون إلى دينه ويعدون من أتباعه، ولم يزل فى كل عصر من عصور الاسلام نوابغ وعباقرة من أذكياء العالم، وكبار ملوك الأرض يفتخرون بالدخول فى أتباع النبى صلى الله عليه وسلم ويعدون ذلك أكبر مفخرة لهم. وينشدون بألف لسان:

وليت الذى بينى وبينك عامر ✽ وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ✽ وكل الذى فوق التراب ترابُ

ان الاعتزاز بالاسلام — أيها السادة — والظهور به تقدم ونبوغ وذكاء، ورمز للاستقلال الفكرى، بالعكس من ذلك الانسحاب من الاسلام وتقليد الحضارة الغربية والالحاح على تطبيق النظم اللادينية فى بلاد الاسلام وفى بيوت الاسلام، رجعية وجمود وضعف عقلية وتفكير ورمز لمركب النقص، وقد انقضى من غير رجعة ذلك العصر الذى كان يعد فيه الظهور بالمظهر الغربى، وتقليد الأساليب الغربية فى الحياة وإطراء النظم الحديثة، تقدما ورقيا، وظرافة وكياسة. أما الآن فقد ضجر الغربيون أنفسهم من حضارتهم

وانتقدوها انتقاداً لاذعا وتهكموا بها. وقالوا إنها حضارة مرحلة لا تقوم على تصميم وتفكير سابق. وإنما قامت من أوضاع كانت تسود فى القرون المتوسطة المظلمة

وبعد ذلك كله لا أرضى لكم أن تكونوا رجالا لا يهمهم إلا أن يكونوا أداة حقيرة فى هذا الجهاز المادى، ولا يهمهم إلا مصالح الشخصية والرفاهية الفردية، وأن تكونوا ذلك الساقط الهمة الذى ذمه الشاعر العربى الكريم حاتم الطائى بقوله

لحا الله صعلوكا مناه وهمه ✽ من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما

ويا ليت فتيان العرب بلغوا فى علو همتهم وطموحهم مبلغ الشاعر الجاهلى امرىء القيس حيث قال:

ولو أننى أسعى لأدنى معيشة ✽ كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكننى أسعى لمجد مؤثل ✽ وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

إن المجد المؤثل — أيها الاخوان — وهو الذى لم يحلم به الشاعر الطموح هو الذى ناله عمر بن عبد العزيز وقد ناله طارق بن زياد ومحمد بن القاسم الثقفى ووصلا إليه بدينهما الذى ينبغى أن يكون مثلكم الكامل وغايتكم المنشودة. إنكم أحق الناس بأن تحوزوا

www.abulhasanalinadwi.org